خواتين القصور المغولية ودورهن في تدبير المؤامرات السياسية

م.د. إسراء مهدي مزبان
جامعة واسط / كلية التربية

شهد تاريخ دولة المغول ظهور عدد من النساء اللواتي كان لهن دور واضح في جوانب الحياة المختلف ، فكان لبعضهن ، لاسيما خواتين القصور المغولياً ، أثر في رسم سياسة ا دول ، وذلك من خلال قيامهن بمؤامرات أدت إلى تداعيات سياسية وعسكرية خطيرة ، سنحاول هنا الكشف عن معالمها الرئيسة ودوافعها وأبرز نتائجه . فقد تركز أثر خواتين دولة المغول في شؤون الحكم والسياسة عقب غياب القيادات القوية التي حكمت المغول بعد وفاة جنكيز خان ، ولم تكن أساليب تدخلهن في هذا المجال على وتيرة واحدة ، إنما تنوعت تبعاً للظروف المحيطة وطبيعة شخص ياتهن ، فبرز خطين واضحين ، هم : استخدام القوة والعنف والبطش في تحقيق الغايات ، مثل سياسة توراكينا خاتون ، والميل إلى المهادنة والمسالمة في الوصول إلى المسعى ، مثل سياسة سيورقتي خاتون).

اقتضت ضرورة البحث أن نقسمه على مبحثين ، قدمنا في المبحث الأول الموسوم أحوال المغول السياسية بعد وفاة جنكيز خان) نظرة عامة عن أحوال المغول السياسية بعد وفاة مؤسس دولتهم جنكيز خان ، واستعرضنا في المبحث الثاني السياسة التآمرية للخواتين في الوصول للسلطة ، مرورا التدابير السياسية ضد السياسة التآمرية التي أطاحت بخواقين المغول ، وقفينا على المبحثين بخاتمة تناولت خلاصة لها وأهم الاستنتاجات .

إنّ المعلومات المتوافرة في مصادرنا الأصلية عن دور النساء في الدولة المغولية قليلة جداً إن لم تكن نادرة ، مما جعل من الصعب علينا الاستفادة منها بصورة كاملة ، لذا اعتمدنا على جملة مصادر ، جاء في طليعتها كتاب تاريخ فاتح العالم جهانكشاي) لعطا ملك الجويني ٨١ هـ ٢٨٢ م ، ويعد مؤلف هذا الكتاب أشهر من كتب عن تاريخ المغول بصورة

عامة ، تناول في مؤلفه القيم هذا طبيعة الأحداث السياسية والصراعات والنزاعات التي نشبت في تاريخ المغول على طوال تأسيس إمبراطوريتهم ، فأمدنا بمعلومات وافية عن أحداث تلك المدة ، كما انتفعنا من كتاب جامع التواريخ) لرشيد الدين الهمذاني ١٨ هـ - ٣١٨ م ، إذ قدم معلومات مفيدة عن مشاهير الشخصيات المغولية التي تولت حكم البلاد بعد وفاة جنكيز خان ، ذاكراً أولاد جنكيز خان وأحفاده وأهم الأحداث السياسية التي رافقت حكمهم .

والى جانب المصادر الأصيلة وقفت المراجع الحديثة لتمدنا البحث بمعلومات ذات قيمة عن السياسة التآمرية لخواتين القصور المغولياً ، ويأتي في طليعتها كتاب تاريخ المغول العظام) لمحمد سهيل طقوش ، الذي قدم دراسة جديدة تفصيلية عن تاريخ المغول ، وقد تطرق لأحوال المغول السياسية والعسكرية ، وكتاب جنكيز خان قاهر العالم) للمستشرق رينية فروسيه ، إذ أفادنا بتتبع الأحداث السياسية التي ألمت بالدولة المغولية في ظل حكم جنكيز خان وأولاده إلى جانب مجموعة من المصادر والمراجع ذكرت في قائمة المصادر والمراجع .

أولاً. أحوال المغول السياسية بعد وفاة جنكيز خان :

ظل عرش المغول خالياً من قائد بعد وفاة جنكيز خان ٢٤ هـ ٦٢٢٧ م) مدة عامين ، حتى رأى كبار أمراء المغول ضرورة التعجيل بتنصيب خان جديد لتصلح الأمور ولا يتطرق الفساد والخلل إلى دولتهم الفتية ، فوقع اختيار كبار القادة المغول وأمرائهم على أوكتاي ، الذي امتاز بالعقل والكفاءة وسداد الرأي والتدبير ، لكنه كان ميالاً إلى اللهو والشرب ، لذلك كان والده جنكيز خان) غير راض عنه ، وعلى الرغم من اتفاق الأمراء على تنصيب اوكتاي) لعرش المغول خلفاً لوالده ، إلا انه لم يمارس أية سلطة إلا بعد انعقاد مؤتمر قوريلتاي) في سنة ٢٦ هـ ٦٢٢٨ م ، الذي خول فيه بممارسة صلاحياته بوصفه خانا أعظم لمغول .

---

١) الهمذاني ، جامع التواريخ ، ص ٨ ٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ٣ ص ١٩٣ .
٢) معنى اسمه العروج إلى الجبل . الهمذاني ، جامع التواريخ ، ص ٩ .
٣) المصدر نفسه ، ص ٩ .
٤) هو مجلس عام عقد سنة ٠٣ هـ ٦٢٠٦ م ، على ضفاف نهر أونون لمنح تيموجين لقب جنكيز خان وتنصيبه سيداً على القبائل المغولية كافة . قزويني ، تاريخ جهان ص ٠٣ ؛ إقبال ، تاريخ مفصل إيران ، ص ٢٠٦ .
٥) حمدي ، الشرق الإسلامي ص ١٤٦ .

ومن الجدير بالذكر إن تولوي) ابن جنكيز خان كان هو الشخص الذي يدير شؤون الإمبراطورية خلال المدة التي أعقبت موت جنكيز خان حتى اعتلاء أخيه اوكتاي) العرش ، إذ كُلف بهذا المنصب طبقاً للعرف المغولي الذي نص على خلافة الابن الأصغر لأبيه في الحكم لحين اختيار خان) أعظم للمغول ، ويظهر أن سبب استمرار وصاية تولوي) على الحكم لسنتين راجع إلى تدبير مؤامرات لإقصاء اوكتاي) عن حقه في الحكم ، ولا يستبعد من أن تولوي) نفسه كان مشاركاً في تلك المؤامرات ، فقد أغراه ما كان قد حاز عليه من ممتلكات أبيه كالموطن الأصلي ! سرة الحاكمة على نهري اونون وكيرولين وأعالي نهر تولا وفيها مقر الحكم ، فضلاً عن الجانب الأكبر من الجيش ، فقد كان له مائة ألف رجل من مجموع جيش جنكيز خان البالغ مائة وتسع وعشرون ألف ، أما الثمانية وعشرين ألف فقد توزعت على جميع أسرة جنكيز خان من إخوته وأبناءه وزوجاتا ، كما كان لغالبية الأمراء ميل له أكثر من باقي إخوته .

ولا بد من الإشارة إلى أن ما منع تولوي) من الاستمرار في مخططه بإزاحة أخيه وتنصيب نفسه خاناً بالقوة هو مستشار ووزير والده ليو تشو تشاي ، الذي تدارك حدوث الانقسام بإسداء النصح لتولوي) بضرورة الاستجابة لرغبة والد ؛ إذا ما أراد الحفاظ على وحدة البلاد ، وأشار مؤرخ المغول الهمذاني) إلى القلق الذي انتاب الأمراء المغول جراء تأخر انتخاب أوكتاي) خانا أعظم بقولا : قد تشاور جماعة الأمراء الأنجال والأمراء في شأن الملك الذي قد ظل خالياً من ملك قرابة سنتين وأخيراً فكروا في أنه قد يحدث أمراً ما ليس هنالك رئيس ولا ملك معين فينصرف الفساد والخلل إلى أساس الملك فمن المصلحة التعجيل بتنصيب خان للخانية ، من ثم فإن تولوي) ما كان أمامه إلا الاستجابة لهذا النصح بإيقاف مخططه بالدعوة لكافة أبناء الأسرة الحاكمة لعقد القوريلتاي) بتنصيب أوكتاي) خاناً أعظماً للمغول .

---

١) الجويني ، تار خ جهانكشاي ص ٧٧ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ص ١ ؛ إقبال ، تاريخ المغول ، ص ٣٧ ؛ عمران ، المغول وأوروبا .

٢) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص ٥٣ ؛ العيني ، المغول ص ٥٩ ٦٠ .

٣) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٧٢ ؛ إقبال ، تاريخ المغول ص ٣٧ .

٤) العيني ، المغول ص ٥٩ ٦٠ .

٥) المرجع نفسه ص ٦٠ ؛ هوخا ، تاريخ الصين ص ١١٨ .

٦) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٨٠ ؛ الكاشغري ، تاريخ ديوان الترك ص ٢٥٢ .

وفي سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) عقد مؤتمر القوريلتاي) بحضور أفراد الأسرة الحاكمة من أبناء جنكيز خان وأخوته وبقي الأمراء وقادة الجيش ومشاركة زوجات جنكيز خان وأبنائه ، وشرع الجميع في تبادل وجهات النظر بخصوص اختيار الخان الجديد [٢] ، وقد أشار الهمذاني إلى جوانب من الحوار الذي دار حول اختيار الخان الجديد بقوله : شرع الأبناء والأمراء في مخاطبة أوكتاي قائلين : تنفيذاً لحكم جنكيز خان ينبغي إجلاسك على عرش الملك حتى يشد الرؤساء المتمردين منطقة حزام العبودية على وسطهم وليطيع أوامرك البعيد والقريب [٣] ، فرد عليهم أوكتاي) قائلا : ولو أن وصية جنكيز خان تكون نافذة بهذا الإجراء غير أن هنالك الأخ الأكبر والأعمام وخاصة الأخ الأصغر تولي فإنه أجدر بتقلد هذا الأمر والالتزام به وذلك لأنه حسب تقاليد المغول ورسومهم يقوم الابن الأصغر من البيت الأعظم مقام الأب ويتعهد مقامه وداره وتولوي هو الابن الأصغر في المعسكر الكبير وكان يلازم أباه ليلا ونهارا وفي كل الأحوال فقد رأى وسمع وعرف التقاليد والقوانين فكيف اجلس على عرش القاآنية مع وجوده وحضوره [٤] ، فرد عليه الأمراء بالقول : لقد فوض إليك جنكيز خان هذا الأمر العظيم من بين الأبناء والإخوة ووكل إليك الحل والعقد فيه فكيف يتسنى لنا أن نغير أو نبدل حكمه المحكوم وأمره المبرم [٥] .

وسواء كان امتناع أوكتاي في بادئ الأمر برفض قبول هذا المنصب بالحجة التي اشرنا إليه ، أو أن ذلك بهدف اختيار موقف باقي إخوته فإن استغراق أمر المشاورات لمدة تربو على الأربعين يوم [٦] ، لأمر يشير إلى ثمة معضلة كانت تقف أمام اختيار . وأشار الهمذاني إلى أن الثلاثة أيام الأولى من المؤتمر انشغل فيها الأمراء بالمتعة والأنس والطرب ، ثم أخذوا يتبادلون الأحاديث بشأن تدبير الممالك والملك إلى أن استقر رأيهم على إسناد منصب الخانية إلى أوكتاي عملا بوصية جنكيز خان [٧] ، ومدة هذا الاستغراق لا يشير إليه الهمذاني في حين ذكر الجويني بالقول : وهم يتشاورون و استمروا على هذه الحال أربعين يوما وكانوا في كل

---

٢) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ص ٧٦ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٨٢ ؛ إقبال ، تاريخ مفصل إيران ص ٢٠٦ .
٣) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٩٠ ؛ الكتبي ، عيون التواريخ ١ ص ١٨ .
٤) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٩٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ٣ ص ٢٢٦ .
٥) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٩٠ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص ٥٣٠ .
٦) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ص ١٧٨ ؛ العيني ، عقد الجمان ص ٢٣ .
٧) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٩٠ ؛ العدوي ، العرب والتتا ص ١٦ .

يوم يرتدون ألبسة قشيبة ويقرعون الكؤوس ويستعيدون الدروس " إلى أن جاء يوم الواحد والأربعين وفيه تقدم أبناء الملوك نحو أوكتاي يضعون بين يديه مصلحة الإخوة والأبناء التي فرضها جنكيز خان وفوضوه أمر الحل والعقد والنقض والإبرام ولن نبدل من أوامرك شيئا " وبذلك قبل أوكتاي المنصب [٨] .

فرض على أوكتاي بعد تنصيبه خانا أعظم أن يأخذ باستشارة أعمامه وإخوته وأخذ جغتاي بيد أوكتاي اليمنى وأخذ تولوي بيده اليسرى وأمسك عمه أوتجكين بحزامه وأجلسوه على سرير الخانية ، ثم رفع تولوي خان كأسا فرفع الحاضرون بدورهم كؤوسهم داخل البلاط وخارجه وباركوا له بالخانية [٩] .

وعلى أية حال فإن المصادر التي بين أيدينا لاسيما المغولية ؛ مثلما تحاشت الحديث عن الأسباب وراء تأخر انتخاب خانا أعظم تحاشت أيضا الإشارة إلى أي موقف سياسي أو حركة تمرد أو صراع من أبناء لأسرة الحاكمة ضد أوكتاي ، فمؤرخا المغول الجويني والهمذاني اللذان تعتمد عليهما معظم المصادر التي تناولت تاريخ المغول لا يشيرأن سوى إلى الإطراء على عهد أوكتاي وعدالته وفتوحاته ، ومن ثم يبدو أن ذكاء أوكتاي السياسي قاده إلى إشغال الأمراء بحركة الفتوحات والتوسعات كي لا يتيح الفرصة لأحد في التآمر عليه ، وهذا ما حدث فعلا إذا ما انتهى القوريلتاي) حتى أصدر أوكتاي المراسيم في حركة الجيوش ، وحدد لكل أمير في التوسع شرقا وغربا [١٠] ، والقضاء على الدول ، لهذا أخذت جيوشه تضرم نيران الحروب من سواحل بحر البلطيق في شمال غرب أوروبا وحتى نهر الكنج [١١] ، ومن ثم لم تهدأ حركة تلك الجيوش حتى وفاته ليضطر بعدها معظم قادة الجيوش إلى العودة لمنغوليا لانتخاب خان جديد .

لما استقر الخان على سرير الملك قرر أولا أن تنفذ جميع الأحكام التي سبق أن أمر بها جنكيز خان تبقى سيرته مصونة من التغيير والتبديل ثم صرح الخان قائلا : قد عفونا عن كل ذنب أو خطأ صدر عن أي شخص وذلك حتى يوم جلوسنا ولكن بعد اليوم إذ تجرأ أحد

---

٨) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ص ٧٨ ٧٩ ؛ عبد الحكيم ، جنكيز خان ص ١٨٨ .
٩) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ص ٧٨ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٢٠ .
١٠) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٢٠٢ ؛ أقبال ، تاريخ مفصل إيران ص ٢٠٦ .
١١) اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ص ٩٤ ١٩٥ .

وأقدم على عمل مخالف للقوانين القديمة والحديثة فسوف ينال جزاء وفاق [٢] ما أن تولى أوكتاي عرش المغول حتى أخذ على عاتقه القيام بجملة من الإصلاحات في البلاد المغلوبة على أمرها خففت من الويلات التي لاقتها على يد أبيه [٣].

ترك أوكتاي زمام الأمور في الصين بيد وزيره المصلح بي ليوجو تساي) الذي استطاع أن ينشئ في هذا الإقليم إدارة حازمة منظمة مستعينا في ذلك بالكتّاب والعمال الصينيين والأيغوريين [٤] كذلك نجح في تنظيم الشؤون المالية وضبط عمليات دخول الأموال وخروجه ، وإلى هذا الوزير يرجع الفضل في إعداد ميزانية ثابتة للإمبراطورية المغولية ، إذ ألزم الصينيين أن يؤدوا ضرائب معينة نقدا ونوعا بما يجري تقديره من أثواب الحرير وكميات الحبوب ، على حين يدفع المغولي عشرة في المائة مما يحوزه من قطعان الخيل والماشية والغنم ثم أنه شيد في مدينة بكين مدارس لتخريج شباب ذوي خبرة وكفاءة وفيها كانوا يدرسون تعاليم كونفوشيوس [٥]. ولما تم لأوكتاي خان فتح الصين الشمالية ولى عليها محمود يلواج [٦] كما نصب ابنه مسعود بيك) حاكما على إقليم ما وراء النهر ، فقام الأب والابن بتعمير ما خربه المغول وأخلصا في خدمة الناس وإصلاح أحوالهم وإدارة تلك المناطق أحسن إدارة [٧].

كذلك تغيرت النزعة البدوية التي كانت في نفس أوكتاي خان ، وذلك على إثر مخالطته لأقوام المتحضرة من الصينيين والأيغوريين ، وبفضل تأثير مس شاريه أصبح ينظر إلى

---

٢) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٩٠ ؛ كيتشانوف ، تيموتشنجين ص ١٥٢ .

٣) الصياد ، المغول في التاريخ ص ١٨٩ ؛ ارسلان ، عاصمت رمال سودا ص ٨٣ .

٤) مفردها الأيغور ، وهي كلمة تركية معناها الارتباط والتعاون ، وشغلوا المنطقة الواقعة شمال منغوليا وشمال شرقي تركستان على نهر سلنجي ، ويلقب رئيسهم بـ ابدي قوت) أو أبو السعادات المقدس ، يلماز ، المدخل إلى التاريخ التركي ص ٢٤٣ .

٥) هو أحد كبار التجار المسلمين الذين سكنوا بلاد المغول ، اتخذه جنكيز خان في حياته مستشارا له ثم تقلد في عهد أولاد جنكيز خان وأحفاده مناصب سياسية عديدة وأصبح ذائع الصيت ذو حظوة ونفوذ حتى وفاته . خجندي ، جنكيز خان ص ١٣٢ .

٦) عرفت مناطق شمال غرب الصين عند العرب والمسلمين باسم الخطا الى حكم الكينان الخط) ولذلك هذا الاسم شائعا حتى بعد سقوط دولة الخطا هنالك في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي . السادات ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ٣٠ ؛ تاريخ الدولة المغولية في إيران ص ١٦ .

٧) الصدفي ، تاريخ دول الإسلام ص ٧٥ ؛ اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ص ٩٥ ؛ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٢٨٨ ؛ براون ، تاريخ الأدب في إيران ص ٤٧٣ .

الشعوب نظرة عطف وشفقة ، وصار يميل إلى التعمير والتشييد ففي سنة ٣١ هـ ٦٣٤ م) أمر مهرة المهندسين الصينيين الذين كان قد أحضرهم معه من قبل من بلاد الخطا [٢٨] ، أن ينشئوا مدينة جديدة في منطقة أوردو باليغ) مدينة البلاد) شمال منغوليا بالقرب من جبال قراقوم وعلى أطلال إحدى المدن الخربة التي كانت تقوم في عهد الأويغوريين ، فتم هذا وأطلق على المدينة اسم اوردوباليغ ، لكن نظرا لقربها من جبال قراقوم اشتهرت في التاريخ بهذا الاسم ثم اختارها أوكتاي لتكون عاصمة له [٢٩] .

ومما هو جدير بالذكر إن لموقع العاصمة قراقوم [٣٠] أهمية كبيرة من الناحية التاريخية ؛ ففي منطقة نهر أورخون اتخذت معظم الإمبراطوريات التركية والمغولية حواضرها ابتداء من دولة هيونج في العصر القديم إلى دولة الترك الشرقيين (تو – كيو) في العصور الوسطى أي في القرون السادسة إلى الثامنة ، فبالقرب من هذا الموضع أقام الاويغور في القرن الثامن حاضرتهم في (قره بلغاسون) [٣١] ، وفي عهد جنكيز خان وقع الاختيار على قراقوم أو على مكان قريب منها يكون مقرا لحاضرته من الناحية الاسمية ، غير أن إخراج هذه الفترة إلى حيز التنفيذ قد تم في عهد أوكتاي خان [٣٢] .

وفضلا عن الأهمية التاريخية كان لاختيار هذا الموقع أهمية أخرى من الناحية الإدارية ، فوقوع هذه العاصمة وسط إقليم منغوليا ساعد على توثيق الروابط بين الموطن الأصلي لأسرة جنكيز خان عند منابع نهر أونون وكيرولين ، وبين المناطق التي كانت تخص أوكتاي خان على نهري أرتش وايميل ، كذلك أمر أوكتاي بتشييد قصر شامخ في العاصمة الجديدة يبلغ

---

٢٨) العريني ، المغول ص ١٦١ ؛ ارسلان ، عاصمت رمال سودا ص ١٨٣ . والكونفوشيوسية ديانة ومذهب فلسفي أسسه حاكم الصين كونفوشيوس ، ومن مبادئه حسن العلاقة بين الأفراد وأوامر الود في الأسرة وحسن التعامل بين الرئيس والمرؤوس . بارندر ، المعتقدات الدينية ص ٤٢٧ .

٢٩) الصياد ، المغول في التاريخ ص ١٩٧ ؛ واكيم ، إمبراطورية على صهوة الجياد ص ٤٣ .

٣٠) هي سلسلة جبلية ضخمة بآسيا الوسطى وتتصل بهضبة بأمير وتعرف حاليا باسم باوغ) وتضم هذه الجبال ثاني أعلى قمة جبلية في العالم وتقع في الجزء الشمالي منها في منغوليا الغربية وعلى ضفاف نهر أورخون مدينة قراقوم التي بناها الايغور لتكون عاصمة لدولتهم ثم ما لبث ان استحوذ عليها المغول في عهد جنكيز خان لتكون عاصمتهم . ابو الفداء ، تقويم البلدان ص ٢٠٥ ؛ إقبال ، تاريخ المغول ص ٩٠ .

٣١) معناها المدينة الكبيرة وتسمى أيضا اردو باليغ) أي مدينة الجيش وتقع في الجزء الشمالي من منغوليا في مناطق قراقورم الجبلية على ضفاف نهر اورخون . الحموي ، معجم البلدان ص ٧٦٠ ؛ الجويني ، تاريخ فاتح العالم ص ٨١ .

٣٢) العريني ، المغول ص ١٦١ ؛ أبرغ ، تاريخي مغول ص ١٥٣ .

طول كل ضلع من أضلاعه رمية سهم بعيد المدى وأقاموا في وسطه مقصورة كبيرة عالية وأنجز ذلك المبنى في أكمل صورة وأتم نسق ثم عكفوا على زخرفته وتزيينه بمختلف فنون النقش والتصوير [٢٣].

وبعد أن تم بناء القصر أمر أوكتاي خان كل من الأخوة والأبناء وسائر الأمراء الملازمين له بناء دور فخمة حول هذا القصر ، فامتثلوا جميعا للأمر وعندما تمت هذه المباني واتصل بعضها ببعض ؛ كونت مجمعا عمرانيا ، ثم أمر الصياغ بأن يصوغوا لمجلس الشراب أواني كبيرة من الذهب والفضة على هيئة الحيوانات وأشكالها مثل الفيل والأسد والحصان وغيرها وأن يجعلوها بمثابة دنان الخمر ويملؤها بالشراب والقميز [٢٤].

كما قام المغول بصنع حوض من اللجين أمام كل منها ، فكان الشراب يسيل من منافذ تلك الحيوانات وينساب في الحوض ، كذلك بادر المغول بإنشاء نظام البريد لسد حاجة الإمبراطورية من الناحية العسكرية فأقاموا على طول المسافة بين بلاد الخطا حتى مدينة قراقوم عدة محطات للبريد ، وأعدوا لكل مرحلة من الطريق فرقة مكونة من ألف جندي للمحافظة على هذه المحطات [٢٥]. ومن ثم فقد نجح أوكتاي خان في تثبيت أركان ملكه من خلال سياسته في إدارة شوكة إمبراطورية ، لذلك سعى لمعالجة مشكلة خطيرة في سياسة تلك الإمبراطورية ألا وهي سياسة ولاية العهد في تولي عرش الخانية التي حاول اوكتاي خان حصرها في حظيرة أسرته الجنكيزية .

ثانيا: السياسة التآمرية للخواتين للوصول إلى السلطة:

بايع أوكتاي خان ابنه الثالث (كوجو) بولاية العهد لأنه كان يؤثره بحبه ، لكنه توفي أثناء حياة أبيه فاختار أوكتاي حفيده شيرامون بن كوجو وليا لعهده وكان لا يزال طفلا صغيرا في عهد أوكتاي [٢٦]. وكان كيوك الابن الأكبر لأوكتاي خان مشغولا مع قادة المغول بفتح

---

٢٣) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٨٠ ؛ الصياد ، المغول في التاريخ ص ١٩٠ .

٢٤) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٨٠ ؛ آيتي ، تاريخ فتوحات مغول ص ٢٣٠ . والقميز هو اللبن الحامض ، وهو في الأصل عبارة عن ألبان الأفراس توضع في قراب ثم تخض بشدة وتترك حتى تخمر فتصبح صالحة للشرب وتكون لها خاصية الخمر . الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٦٠ .

٢٥) بارتولد ، تركستان ص ١٧٠ ؛ طقوش ، تاريخ المغول ص ١٥٩ .

٢٦) أقبال ، تاريخ مفصل إيران ص ٢٠٦ .

روسيا وبولندا عندما أرسل إليه أبوه يستدعيه إلى الـ اصمة قراقوم حين اشتد عليه المرض إلا أن أوكتاي خان لفظ أنفاسه الأخيرة قبل أن يرى ابنه [٧٧].

واجه المغول أزمة سياسية كبيرة في اختيار من يخلف أوكتاي خان على منصب الخانية بعد وفاته سنة ٦٣٩ هـ - ٢٤١ م) إذ بدأت الأطماع على منصب الخانية والخلاف بين أفراد الأسرة الحـ كما [٧٨]. وجريا على عادة المغول شرعت توراكينا خاتون زوجة الخان الراحل تباشر مهام الحكـ ، إلى أن يعقد مجلس الشورى القوريلتاي) لانتخاب الخان الجديد وكانت هذه السيدة تحرص حرصا شديدا على أن يتولى ابنها الأكبر كيوك هذا المنصب فعملت على أن يطول أمد وصايتها كي تمهد السبل لتحقيق هذه الأمنيـ [٧٩].

وعلى إثر وفاة أوكتاي اضطربت أحوال المغول واختلفوا على من يخلفه على العرش فالأمير (باتو)) ملك خانات روسيا ووادي القبجاق وأحد كبار الأمراء البارزين في أسرة جنكيز خان لم يكن يميل إلى أن يتولى عرش المغول أحد من أسرة أوكتاي خان ، كذلك كان يرغب كوتان الابن الثاني لأوكتاي خان في تولي هذا المنصب بعد أبيه ، وكان هنالك فريق آخر يرى التقيد بوصية الخان الراحل واختيار حفيد الطفل شيرامون) ليكون خانا أعظم للمغول [٨٠].

سعت توراكينا خاتون خلال فترة حكمها التي استغرقت قرابة خمس سنوات إلى تنصيب بنها كيوك ليكون خانا أعظم للمغول بدلا من حفيدها الصغير السن شيرامون مستخدمة نفوذها لتحقيق هذا الهدف وفي ذلك يقول الهمذاني : ومصداقا لسيطرتها وتحكمها أنها لم تأبه بوصية زوجها في ولاية العهد ولم تسمع كلام الإخوة الكبار والصغار وإثارة الفتن بين أفراد الأسرة لجنكيز خانيـ [٨١]. ممن كان يعارضها لتوقع بينهم لإضعافهم ونجحت توراكينا خاتون في مخططاتها في إثارة الفتن حتى تمكنت ببراعتها من ضبط أمور الملك بلطف وحيلة وجذبت إليها قلوب الأقرباء بأنواع الهدايا والتحق ومال إليها أكثر العشائر والأقارب وانقاد

---

٧٧) اليوسفـ ، علاقات بين الشرق والغرب ص ٩٤ ١٩٥ .
٧٨) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإ لامي ص ٨٨ ؛اليوسفـ ، علاقات بين الشرق والغرب ص ١٩٥ .
٧٩) الصدفي ، تاريخ دول الإسلا ص ٧٨ ؛ براون ، تاريخ الأدب في إيران .
٨٠) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٧٨ ؛ العزاوي ، العراق بين احتلالين ص ١٤٠ .
٨١) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٨٨ ؛ عمران ، المغول وأر روا ص ١١٣ .

الناس إلى أوامرها طوعا ورغبة وانضوى تحت قوانينها الكثير من الأصحاب والأتباع الذين أيدوا توراكينا خاتون في تحقيق ما تسعى في الوصول إليه[٢].

ولقد أخذت عملية اختيار خان جديد للمغول وقتا طويلا دون أن يستقر المغول على رأي معين بخصوص هذه المسألة ، وبسبب غياب كيوك الابن الأكبر عن المقر الأصلي للمغول تهيأت الفرصة للطامعين في تولي هذا المنصب[٣]. وكان من بين الطامعين في تولي منصب الخانية أوتجكين أخو جنكيز خان ، إذ أراد أن يغتصب العرش بالقوة وتوجه لتنفيذ هذه الخطة إلى معسكر الخان بجيش جرار مزود بالعدة والعتاد فهاج الجند والأتباع ، وما أن علمت توراكينا بهذا التدبير حتى بادرت بإرسال الرسل إلى أوتجكين تعتب عليه في رفق وتعمل على استمالته إلى جانبها فنجحت في هذا السبيل ، إذ ندم أوتجكين ومهد سبيل الاعتذار ثم قفل عائدا إلى وطنه[٤].

أثارت عمليات الانتقام التي قامت بها توراكينا خاتون ضد خصومها حفيظة معظم الأمراء الذين أخذوا يتحاشونها وفي هذا يقول الهمذاني : وفي تلك الفترة المليئة بالفتن والاضطراب إذ أخذ كل شخص يلجأ إلى مكان ويتمسك بحمايته كما كان كل واحد يتذرع بنوع من الحجج لتبرير موقفه" خوفا من أن تطالهم يداه[٥].

نجحت توراكينا خاتون في إيصال كيوك لمنصب الخانية ، وعملية إيصال هذا الخان لم تأت إلا بعد سلسلة من المحاكمات المقيتة والإعدامات الوحشية ببلاط الخان المتوفى وقصور الأمراء والتي جعلت فيما بعد عبارة يذهب إلى الاوردو) أي إلى مقر الخانية تعني لأي أمير أنه ذاهب إلى موت محقق لاسيما السياسة التي اتبعتها توراكينا خاتون في إيصال ابنها كيوك خان لدفة السلطة[٦].

لم تأبه توراكينا خاتون بكل المحاولات التي أحاطت بعرش الخانية وصممت على أن يتولى ابنها كيوك هذا المنصب ولبلوغ هذه الغاية صارت تبذل قصارى جهدها لمدة تربو على أربع سنوات في سبيل اجتذاب الأقارب والأمراء بأنواع التحف والهدايا حتى ضمت الأغلبية

---

٢) الصياد ، المغول في التاريخ ص ٩٦ ؛العود ، كيف دخل التتر بلاد المسلمين ص ٩٥ .
٣) الجويني ، فاتح العالم جهانكشاي ص ٦٣ ؛ أميري ، تاريخ مغول ص ١٣ .
٤) ارسلان ، عاصمت رمال سودا ص ٧٨ ؛ الرفيعي ، سقوط الدولة العباسية ص ١٥ .
٥) الحسيني ، العالم الإسلامي في العصر المغولي ص ١٢ .
٦) الرفيعي ، العراق بين سقوط الدولة العباسية ص ١٨ .

إلى صفها وصاروا رهن إشارتها ، كذلك سنحت لها الفرصة للتخلص من كبار الشخصيات والولاة الذين كانوا مناوئين لسياستها [٧] . وكانت لها حاجبة تدعى فاطمة أصلها من طوس والتحقت بخدمتها وكانت هذه المرأة غاية في الذكاء والكفاءة وموضعا للثقة التامة وكاتمة أسرار الخاتون ، وكان عظماء البلاد يتخذونها أداة لتحقيق أغراضهم ، فأخذت توراكينا خاتون تعزل بمشورة تلك الحاجبة الأمراء وأركان الدولة ممن كانوا يتقلدون المناصب الكبرى في عهد أوكتاي ، وكان من بين هؤلاء جينقاي الوزير الأعظم للخان ومحمود يلواج وصاحب الديوان وحاكم الخط ، ولم ينقذ هاتين الشخصيتين الكبيرتين من بطش توراكينا خاتون سوى التجاءهما إلى ابنها كوتان وحمايته لهما وتم عزل كوركوز) حاكم إقليم خراسان من المغول واعدم وحل محله حاكم مغولي آخر اسمه آرغون [٨] .

وعندما تأكدت توراكينا خاتون) من أنها أصبحت تملك الورقة الرابحة ووجدت أن الظروف كلها مهيأة لنجاح خطتها أرسلت الرسل إلى كبار الشخصيات المغولية في جميع الأطراف والأمصار لحضور جلسة القوريلتاي التي سوف ينصب فيها كيوك رسميا خانا أعظم ، كما وجهت هذه الدعوة إلى السلاطين والأمراء والعظماء في تلك النواحي [٩] . وفي تلك الأثناء وصل إلى منغوليا كبار الأمراء والشخصيات المغولية ما عدا (باتو) [١٠] الذي اعتذر لمرضه وأرسل إخوته بدلا عنه ، وكذلك ياروسوف دوق روسيا كما حضر عدد كبير من حكام الأقاليم والملوك التابعين للمغول ، وكذلك مندوبون عن الدول الأخرى في الشرق والغرب فكان من بين هؤلاء أمراء الخطا والأمير مسعود بيك حاكم التركستان وما وراء النهر [١١] .

وإلى جانب أمراء الخطا السلطان ركن الدين سلطان سلاجقة الروم بآسيا الصغرى ومندوبون عن أتابكة كرمان وفارس والموصل والمطالبان بعرش مملكة الكرج [١٢] (داود نارين) و (داود لاجين)) وأرسل الخليفة العباسي مندوبا عنه ، كما أرسل علاء الدين حاكم

---

٧) ابن العبري ، مختصر الدول ص ١٠٠ ؛ بارتولد ، تركستان ص ٤٨٢ .

٨) واكير ، إمبراطورية على صهوات الجياد ص ٤٣ .

٩) هي مدينة ببلاد الجبل تقع على السفوح الجنوبية لجبال القوقاز وعاصمتها تفليس . الابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ١ ص ١٠ .

١٠) هو بن جوجي بن جنكيز خان عرف عنه بحزمه وبأسه ومدى احترام المغول له لانتمائه للأسرة الجنكيزية والالتزام بأمر .

١١) الجويني ، تاريخ فاتح العالم ص ٢٢ ، بارتولد ، تركستان ص ٤٧٥ .

١٢) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٧٢ ، ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ٢٣ .

الإسماعيلية ممثليه لحضور الاجتماع ، وربما كان هذا بدافع الخوف والفزع وتفاديا لنقمة المغول وتجنبا لشره ، فضلا عن ذلك فقد حضر الاجتماع مجموعة من المسبين [١٣].

قدم كل أولئك المدعوون إلى قراقوم محملين بالأحمال الكثيرة والهدايا الفاخرة المناسبة لمقام الخان المغولي ، وأعد لإقامتهم ما يقرب من ألفي سرادق ، ونظرا لكثرة الناس كثرت السرادق بتلك الصحراء الشاسعة ، ولم يبق هنالك موضع للنزول بجوار المعسكر وارتفعت أسعار المأكولات والمشروبات ارتفاعا فاحشا وندر وجودها [١٤]. وهذا يدل على كثرة الأشخاص الذين حضروا مراسيم تتويج الخان . وفي عام (١٤٤٥ - ٢٤٦) انعقد القوريلتاي على ضفاف إحدى البحيرات غرب منغوليا فاقترح أغلب الحاضرين انتخاب كيوك خانا أعظم للمغول ، لكنه كان يعتذر بضعفه ومرضه ، وفي النهاية قبل أن يتقلد هذا المنصب نزولا عند رغبة الأمراء بشرط أن يكون الحكم وراثيا في سلالته [١٥].

ومع موافقة كل الأمراء على جعل الحكم وراثيا خلع الأمراء قلانسهم وحلوا أحزمتهم وأجلسوا كيوك على العرش ، ثم أخذوا الكؤوس وركعوا أمام عرشه وأعلنوا انتخابه رسميا خاقانا (خان) للمغول واستمروا يحتفلون بهذه المناسبة مدة أسبوع وكان كيوك يقوم بتوزيع الأموال على الأمراء ورؤساء الفرق [١٦]. وتذكر المصادر التاريخية أن كيوك خان عامل رسول الخليفة في بداية الأمر معاملة حسنة ، لكنه سلمه رسالة كلها تهديد ووعيد ، أما ممثلو الإسماعيلية فراح يصب عليهم بعد توليه الخانية جام غضبه وصرفهم أذلاء مهانين ورد على زعيمهم ردا جافا إلى أقصى حد [١٧].

ومما عرف عن كيوك خان انه على خلاف أبيه ، فقد كان رجلا مغامرا محاربا ميالا إلى الغزو والفتح ، فهو من هذه الناحية أقرب الشبه إلى جده جنكيز خان ، لم يكد يستقر في الحكم حتى لفت نظر الأمراء والنبلاء إلى ضرورة مراعاة أحكام الياسا [١٨]، وتجنيب الخروج

---

١٣) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٥٧ ؛ العدوي ، العرب والتتار ، ص ٢٥ .
١٤) الجويني ، تاريخ فاتح العالم ، ص ١٣ ؛ اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ص ٤٣ .
١٥) العود ، كيف دخل التتر بلاد المسلمين ، ص ١٣١ ؛ عامر ، التتار والمغول ، ص ٥٣ .
١٦) غروسيه ، جنكيز خان قاهر العالم ، ص ٢٢٥ .
١٧) اقبال ، تاريخ المغول ، ص ١٤٢ .
١٨) هي مجموعة القيم والتقاليد الرعوية التي سادت بين قبائل المغول اسقط منها جنكيز خان التقاليد الذميمة وأضاف اليها ما استعاره من الأمم الأخرى وأخرجه على هيئة قانون ، ولم يقتصر على النواحي

عليها أو تحريفها وتأويلها وأمر بمعاقبة الذين قصروا في أداء واجبهم أو ارتكبوا مخالفات في المدة السابقة على توليته كذلك كلف أمراءه وقادته بتجييش الجيوش لفتح الصين الجنوبية [٩].

بدأ كيوك خان حكمه بمهمة فتح الصين الجنوبية التي عقد لو ـ ها إلى القائد المغولي سبوتاي وأوفد القائد المغولي ابلجكتاي إلى إيران لفتح بقية الممالك الإسلامية وجعل له السلطة العليا في الإشراف على شؤون الروم والكرج والموصل وديار بكر ونصب محمود يلواج حاكما على ممالك الخطا وولى الأمير مسع ود بيك حاكما على ما وراء النهر وتركستان [١٠]، ومن ثم أصبح كيوك خان بفضل جهود والدته ودسر ائسها فأصبح خانا أعظما للمغول .

وبعد أن توفي كيوك خان ٤٧ هـ - ٢٤٩ ـ) قامت زوجته أقول قيمشر) بمباشرة مهام الحكم إلى أن يتم انتخاب الخان الجديد طبقا لرسوم المغول وعاداتهم و سرعان ما عادت أحوال المغول إلى الاضطراب ، أحدث نزاع على من يخلف الخان الراحل فأقول قيمش كانت ترى أن يتولى هذا المنصب شيرامون) ابن أخ كيوك خان تنفيذا للعهد الذي قطعه الأمراء على أنفسهم بأن يظل الحكم في سلالة كيوك خان ، غير إن أغلب الأمراء لم يوافقوا على اخذ ار شيرامون لصغر سنه وقلة خبرته [١١]. وفي النهاية وقع اختيار أمراء المغول على منكو بن تولوي لتولي منصب الخانية لأنهم كانوا يرون أن ه أحق الأمراء المغول بهذا المنصب لاسيما وقد اجتمعت فيه صفات القائد المحنك والإداري الحازم [١٢].

المدنية أو العقوبات بل قدم نظاما رتب فيه كل مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية . اقبال ، تاريخ المغول ص ١٦ .

٩) عمران ، المغول وأوروا ص ١٩٧ ؛ العزاوي ، العراق بين احتلالين ص ١٣٨ .

١٠) فهمي ، تاريخ لدولة المغولية في إيران ص ٨٣ ؛ العدوي ، العرب والتتا ص ٣١ . وسميت تركستان لأنها أقدم موطن للترك أو التركمان ومعنى تركستان مركبة من كلمتين ترك) و ستان) لاحقة بها في اللغة وتفيد المكان الذي يكثر فيه الشيء وتنقسم الى قسمين التركستان الغربية أو الروسية والتي كانت تعرف ببلاد التتار وعرفت بعد ذلك ببلاد ما وراء النهر . بارتولد ، تركستان ص ٤٥ - ٤٦ ؛ حسين ، مسلمو تركستان ، ص ١ - ١٢ .

١١) الجويني ، تاريخ فاتح العالم ص ١٢٠ ، الهمذاني ، جامع التواريخ ص ١٩٥ .

١٢) الجويني ، تاريخ فاتح العالم ص ١٢٠ .

وكان على رأس المؤيدين لاقتراح تولي منكو بن تولوي العرش الأمير باتو بن جوجي) الذي كان يعد أعظم شخصية مغولية في ذلك الوقت ، فلا غرو أن تكون له الكلمة الأولى في اختيار الخان الجديد ، وسبق أن اشترك منكو مع باتو في حروب المغول لفتح روسيا وممالك أوروبا الشرقية ، فاتيحت لباتو الفرصة كي يقف عن كثب ع لى ما كان يتمتع بهم منكو من مزايا تؤهله لأن يعتلي عرش الإمبراطورية المغولية [١٣]. وتشير الأحداث التاريخية أن علاقة صداقة ومودة جمعت بين باتو ومنكو منذ عهد كيوك خان ، إلا أن طبيعة العلاقة التي كانت تجمع باتو بالخان كيوك لم تكن حسنة ، حتى إن الأخير فكر بقتل باتو لولا الرسالة التي أرسلتها زوجة الخان سيسور قتي خاتون إلى القائد باتو تحذره من نوايا الخان في محاولة قتل ، إلا أن موت الخان كيوك حال دون تنفيذ مخططه الساعي لقتل باتو [١٤].

ان الدور الذي لعبته سيورقيتي خاتون بعد إنقاذ القائد باتو عزز من طبيعة العلاقة الودية والصداقة الدائمة التي كان يكنها باتو إلى سيورقتي التي أخذت تسعى في إيصال ابنها إلى خانية المغول [١٥]. وقد عرف لسيورقيتي اسم آخر هو بيكي) وهي ابنة الأمير جاكمبو أخي أونك خان زعيم قبيلة الكرايت تزوجها تولوي بن جنكيز خان في حياة والده وأنجبت له أربعة أولاد [١٦]. و نالت مكانة كبيرة لدى الأسرة الحاكمة المغولية كونها سليلة عائلة ملكية متمثلة بعمها أونك خان ونالت حب تولوي ، ومن ثم أصبحت الزوجة الأثيرة له [١٧].

عرف عن سيورقيتي رجاحة عقلها لاسيما بعد أن كرست حياتها لتربية أبنـ ه ، فبذلت بكفاءتها جهودا كبيرة في رعايتهم وأ ذت على عاتقها تعليمهم التماسك حتى يكونوا قادرين على مواجهة أعدائهم وألفت بين قلوب أبنائها بعضهم مع بعض الآخر حتى نالت بحسن تدبيرها ورعايتها لأولادها إعجاب أمراء المغول ، ولأنهم كانوا يرونها عاقلة تماما و في غاية الكفاءة لم يتخلفوا مطلقا عن طاعة أوامرها ، كما أحسنت تنظيم شؤون ولايتها إلى قدر لم

---

١٣) حمدي ، الدولة خوارزمية والمغو ص ١١٨ .
١٤) درويش ، الشرق الأقصى ص ١٧٠؛ ميري ، تاريخي مغو ص ١٤٤ .
١٥) الجويني ، فاتح العال ص ١١٠ ؛ العزاوي ، العراق بين احتلالين ص ١٤٢ .
١٦) أولاد تولوي هم كل من منكو ، وقويلاي وهولاكو واريق بوقا وجميعهم أصبحوا ذوي شأن كبير في التاريخ سياسي لدولة المغول . الهمذاني ، جامع التواريخ ص ١٩٥ .
١٧) الجويني ، فاتح العال ص ١٢٣ ؛ آيتي ، تاريخ فتوحات المغو ص ١٢٢ .

يكن في مقدور أي ملك أن يأتي بمثلها أو أن يقوم بتنفيذها [١٨]. ، كانت محل اهتمام خان المغول كيوك الذي كان يستشيرها في مهام الأمور ومصالح البلا ، ولم يكن يحيد عما تراه صالحا ولا سمح التغيير والتبديل في كلامه ، وكان أتباعها يتمتعون أكثر من غيرهم بالحماية والاهتمام والاحترا ، ولا صدر عنهم في أي ة فتنة أو شيء يخالف القوانين المغولية [١٩].

ومن جانبها عملت سيورقيتي خاتون على كسب ود الخان كيوك وبقية الأمراء من خلال استخدام سياسة واضحة بعيدا عن الغموض أو إثارة الشكوك بعائلتها لاسيما فيما يتعلق بالشؤون المالية ، لذلك حرصت على أن تكون جميع تصرفاتها صحيحة وسليمة [٢٠]. وعندما تولى كيوك خان عرش المغول قام بفحص ما للأسرة المالكة من موارد مالية ولاحظ مخالفات خطيرة ارتكبها اغلب الأمراء ، ما عدا سيورقيتي خاتون وأبناؤه ، فقد اتضح أنهم وحدهم قد تصرفوا على أساس الأمانة التامة [٢١]. ونظرا للمزايا العديدة التي كانت تتوافر في شخصها حرص أوكتاي خان بعد وفاة أخيه تولوي ، أن يزوجها من ابنه كيوك وعرض عليها هذا الرأي فاعتذرت في لباقة وقالت : كيف يمكن تغيير حكم المرسوم ، غير أني أفكر في أن أربي هؤلاء الأولاد حتى أصل بهم إلى مرحلة الرجولة والاستقلال واجتهد في تهذيبهم حتى لا يفارق بعضهم بعضا ولا ينّفر أحدهم الآخر فلربما يترتب على وفاقهم عمل كبير [٢٢].

نجحت سيورقيتي خاتون بفضل سياستها من تحقيق ما تتمناه في إيصال أبنا ها لتولي مناصب الحكم والسيادة في دولة المغول ، ولما كانت تحرص على أن يتولى ابنها عرش المغول فإنها مهدت لذلك باستمالة الأمراء والعشائر والأقارب والجنود عن طريق التحف والهدايا والأموال التي كانت ترسلها إليهم ، فكان الجميع يطيعون أمرها ويعملون على كسب رضاها [٢٣]. وعلى إثر وفاة كيوك خان أراد أبناء أوكتاي وأتباعه أن يقيموا شيرامون) إمبراطورا للمغول ، لكن لاتخاذ هذه الخطوة كان لا بد من الحصول على موافقة الأمير باتو)

---

١٨) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٩٧ ؛ لامبر ، جنكيز خان وجحافل المغول ص ١٦٢ .
١٩) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٩٧ ؛ عبد الحكيم ، جنكيز خان ص ١١١ .
٢٠) عامر ، التتار والمغول ص ٨٤ ؛ العدوي ، العرب والتتار ص ٢٥ .
٢١) طقوش ، تاريخ المغول ص ١٥٦ .
٢٢) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٢٣ .
٢٣) ارسلان ؛ عاصمت رمال سودا ص ١٦٩ ؛ لامبر ، جنكيز خان وجحافل المغول ص ١٦٥ .

وصـ ه أكبر الأمراء سنا ومقاما ، فأصبح من حقه النظر في اختيار الملوك وتنصيبهم وعلى هذا أرسلوا إليه يطلبون أن يحضر إلى منغوليا لعقد القوريلتاي وتنصيب الخان الجديـ ، فرد عليهم معتذرا بعدم قدرته على السفر إلى منغوليا بسبب مرضـ [٤] .

وفي الوقت نفسه وجهت الدعوة إلى كبار الأمراء والقادة للحضور إلى القبجاق حيث يقيم والاشتراك في القوريلناي لانتخاب الخاـ ، إلا أن أبناء أوكتاي وجغتاي عارضوا هذا الاقتراح وأصروا على أن يعقد القوريلتاي في المقر الأصلي لجنكيز خان جريا على العادة المتبعـ ، وعلى هذا امتنعوا عن الذهاب إلى القبجاق واكتفوا بأن أنابوا عنهم بعض المندوبين [٥] . أما منكو فقد لبى دعوة باتو وأسرع إلى القبجاق حيث عقد القوريلتاي ونودي بمنكو إمبراطورا على المغول ٤٧ هـ ٢٥٠) وتلقب بلقب (منكوخاـ) ، وبهذا انتقل الحكم إلى أولاد تولوي الذين يمثلون الفرع الثاني من أسرة جنكيز خان [٦] . ولما لم يكن جميع الأمراء ممثلين في هذا الاجتماع اتفق على أن يعقد القوريلتاي مرة ثانية في مطلع السنة الجديدة على أن يحضره الأمراء والعظماء لإؤ رار تنصيب منكو خان أعظم للمغول بصفة رسميـ [٧] .

ـ على الرغم من تولي منكو خان عرش الخانية المغوليـ ؛ إلا أن بعض الأمراء أمثال أبناء أوكتاي وجغتاي تمسكوا برأيهم الأول الذي ينادي بأن يظل الحكم في أسرة أوكتاي وكيوك وكانوا يتبادلون الرسل مع باتو معلنين معارضتهم ! قتراح عقد القوريلتاي لإقرار انتخاب منكو ومستنكرين الطريقة التي تم بها انتخابه في المرة الأولـ ، وقد احتدم الجدل حول هذه المسألة بين باتو ومنكو وسرقويتي من جهة وبين المعارضين لهم من جهة أخرى واستمر الصراع يسود الطرفين لمدة عامين كاملين [٨] .

وأخيرا وبناء على اقتراح باتو عقد القوريلتاي ٦٤٨ هـ ـ ٢٥٠ ـ) في منطقة قراقورـ ، وذلك رغم أنف المعارضين ، وفيه أعلن انتخاب منكو رسميا بفضل السياسة المتزنة التي اتبعتها سيورقيتي بين الشدة تارة والمصالحة تارة أخرى علـ وفق مـ قتضيه طبيعة

---

٤) خجندـ ، جنكيز خان دولت مغولـ صـ ٧٧ ؛ حطيـ ، حرب المغولـ صـ ٣٦ .
٥) الغامدـ ، أوضاع الدولة الإسلاميـ صـ ٢٣ ؛ صلابـ ، دولة المغولـ صـ ٢٣ .
٦) جرار ، أصداء الغزو المغولـ صـ ١٣ ؛ ارسلان ؛ عاصمت رمال سودا صـ ١٦ .
٧ جرار ، أصداء الغزو المغولـ صـ ٣ ١٤ .
٨) الهمذانـ ، جامع التواريـ صـ ١٩٧ .

الوضع السياسي الذي كان قائما بين أمراء ا مغول آنذاك [٩]. ومما تجدر الإشارة إليه أن سيورقيتي على الرغم من أنها كانت تعتنق الديانة المسيحية وتعمل على ترويجها ؛ إلا أنها كانت تسعى سعيا جديا في إظهار شعائر الشريعة الإسلامية [١٠] كانت تغدق الصدقات والعطايا على أئمة المسلمين ومشايخهم ، ومصداق هذا الأمر أ ها منحت ألفا كيس من الفضة بالشر) لإقامة مدرسة في بخارى ، وأن يتولى ذلك العمل الخير ويشرف عليه شيخ الإسلام سيف الدين الباخرزي ، كما أمرت بشراء الضياع ووقفها على هذه المدرسة ، وقد اختير لها المدرسون وطلاب العل ، وكانت توالي إرسال الصدقات على الأطراف والنواحي وتنفق الأموال على المساكين والفقراء من المسلمين ، وظلت تسلك هذا الطريق إلى أن توفيت في سن ٤٩ هـ ٢٥١) [١١]. ويبدو أن التوجه الديني الذي سارت عليه سيورقيتي واهتمامها بالإسلام على الرغم من كونها مسيحية يأتي بسبب روح التسامح الديني الذي عرف به المغول مع بقية لأديان الأخرى .

أثبتت سيورقيتي قدرتها في تدبير أمر السلطة من خلال إيصال ابنها منكو خان بكل ذكاء وحكماً ، فعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي واجهتها سيورقيتي من الأمراء ؛ إلا أنها استطاعت بحكمة بالغة من معالجة مشكلة المعارضة دون أن تؤثر على أمر تولي ابنها سلط ، وفي الوقت نفسه لم تكن سياس تها ائمة على القتل وتصفية معارضيها كما كانت توراكينا خاتون التي لج ت إلى سياسة القتل دون مسايرة معارضيا . ومن ثم شهدت تلك ا د ة التي أشرنا إليها ظهور نوعين من النساء جمعا بين السر اسة في الوصول إلى دفة السلطة أمثال سيورقي ي وبين من لج ت لأسلوب القتل والتدبير للإطاحة بالخصوم أمثال توراكينا خاتون ، وعليه فقد كانت سياسة المؤامرة التي دبرت من نساء المغول أ را بارزا في إيصال الرجال لعرش الخانية في بلاد المغول .

كان لخواقين المغول جملة من الإجراءات للحد من التآمر والتمرد ال ي أحاط بعروشهم وأرهقه ، لذلك لج وا لتدابير البطش والقسوة للمحافظة على بق هم في السلطة أطول مد ة ممكن . ولعل من بين الخواقين الذين استخدموا أسلوب البطش للتخلص من مناوئيه في السلطة كيوك خان الذي عر ت عنه القسوة وحب السيطر ، لذلك ما أن تسلم منصب الخانية

---

٩) الهمذاني ، جامع ا واريخ ص ٩٧ ٩٨ ا طقوش ، تاريخ المغول ص ٥٨ ا .
١٠) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٩٨ ا ؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ص ٣٠ ا .
١١) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٩٨ ا طقوش ، تاريخ المغول ص ٦٢ ا .

حتى أقلقه حتفاظ معارضيه بالمكانة التي كانوا عليها زمن أبيا ، لاسيما من أمراء أسرة جنكيز خان ، ومنهم العم أوتجكين أحد كبار أمراء المغول الذي لم ينس له كيوك فعلته في محاولة غزو معسكر والدته توراكينا خاتون بهدف السيطرة على مقاليد السلطة ، ومن أجل إضفاء طابع الشرعية في مد سـ ته قرر محاكمته صورة علنـ ذ [١٢] . ومن ثم فإن كيوك خان نجح في تلك المحاكمة من إضعاف مكانة أوتجكين السياسية كونه أخا جنكيز خان وعم والده أوكتاي أمام أمراء المغول .

لم يكتف كيوك خان بمحاكمة أوتجكين ؛ بل سعى أيضا إلى التخلص من الحاجبة فاطمة تلك المرأة التي كانت الخادمة المطيعة لوالدته توراكينا خاتون التي لم تكن لتستغني عنها قط ، إلا أن كيوك خان أراد التخلص من تلك الحاجبة التي أخذت تشكل مصدر تهديد له من خلال تحريض إخوته عليه عن طريق تأثيرها على والدته توراكينا خاتون التي بقيت تتدخل في شؤون الحكم [١٣] .

أدى محمود يلوا اج نشاطا بارزا في التأثير على الخان كيوك للتخلص من الحاجبة فاطمـ ، وذلك بسبب الموقف المعادي الذي اتخذته فاطمة من محمود يلواج عندما وشت به للخان المغولي السابق ، فما أن تولى كيوك خان عرش المغول حتى وجد محمود يلواج أن الفرصة أصبحت سانحة للتخلص من تلك الحاجبة و من ثم دبر محمود يلواج تهمة إلى فاطمة بعد اتهامها بأنها كانت سببا في مرض الأمير كوتان ومن ثم موته [١٤] . وبعد التهمة التي وجهت إلى الحاجبة فاطمة أدينت بجرم لم تقترفه فأمر الخان كيوك بلفها داخل لباد ورميها في الماء فماتت غرقـ ، ومن ثم كان موتها صدمة كبيرة لتورا ينا خاتون التي لم تستطع تحمل موت حاجبتها التي كانت رفيقتها لوقت طويل ؛ لذلك ما لبثت أن ماتت بعدها مـ ة قصيرة [١٥] .

---

١٢) الرمزي ، تلفيق الأخبا ص ٧٨ ؛ بارتولد ، تركستا ص ٦٩ ؛ العيني ، عقد لجما ٢ ص ٦٠ .

١٣) ابن العبري ، تاريخ الزما ص ٢١٨ ؛ بارتولد ، تركستا ص ١٧٧ .
١٤) الرمزي ، تلفيق الأخبا ص ٨٥ ؛بروكلما ، تاريخ الشعو ص ٢٨٨ .
١٥) الجويني ، تاريخ فاتح العالـ ص ٧٣ ؛طقوش ، تاريخ المغو ص ١٥٩ .

أخذ كيوك خان بعد إعدام الحاجبة فاطمة قتل كل من كان له علاقة بها ، ثم تمكن من القضاء على المؤامرات والدسائس التي طالما حاكتها توراكينا خاتون بمش ورة حاجبتها فاطم ، وفي الوقت نفس ه تخلص من تدخلات والدته بعد موتها في شؤون الحكم[١٦] .

بل أن كيوك خان عمل على تصفية كل الأمراء والقادة الذين اتخذوا خلال توليه السلطة موقفا معارض ، كما لجأ إلى قتل الأمراء الذين كانوا ينفذون أوامر والدته توراكينا خاتون دون الأخ ذ بأمر ، ومنهم الأمير عبد الرحمن الذي تولى على عهد توراكينا خاتون منصب حاكم ولاية الخط ، لاسيما ن الأمير عبد الرحمن كان من أشد الموالين لتوراكينا خاتون ، لذلك استغل وفاة والدته فعمل على اتهام عبد الرحمن بالتآمر عليه ومن ثم قتله بعد أن عزله وعين مكانه محمود يلواج[١٧] .

الخاتمة:

عاش المغول بعد وفاة جنكيز خان أوضاع سياسية متقلبة ضمت العديد من الأحداث السياسي ، لاسيما فيما يتعلق بتولي السلطة واعتلاء عرش الخانية ، فقد شهدت الساحة السياسية للمغول صراعات سياسية حول من يتولى عرش البلاد فضلا عن ظهور نشاط مؤثر لنساء ا مغول اللواتي سعين إلى إيصال من يرغبن في إيصاله لعرش خانية المغول . إذ نجحت بعض الخواتين المغوليات في تحقيق الغاية التي تسعى إليها من خلال أسلوب البطش والقسوة والقتل طريقا للوصول إلى السلطا ، أمثال توراكينا خاتون في حين لج ت سيورقيتي إلى أسلوب التعامل الحسن ، ع خصومها السياسيين وصولا إلى غايتها . وقد سعى خواقين المغول بعد اعتلاء عرش الخانية إلى اتخاذ جملة من الإجراءات والتدابير التي من شأنها أن تحافظ على بقائهم في السلطة أطول م ة ممكن ، لذلك لج وا إلى قتل وتصفية كل خصومهم السياسيين .

لقد أثبتت لنا هذه الدراسة أن سياسة القوة وتصفية الخصوم والقتل وإن نجحت في تحقيق بعض أهداف السلطة وفرض النفوذ ؛ إلا أنها سياسة كفيلة بخلق الكثير من الأعداء والخارجين عن السلطة إن لم يبد الحاكم سياسة الشدة تارة والتسامح تارة أخرى في محاولة

---

١٦) ابن خلدون ، العبر ، ص ٢٩ ؛ القلقشندي ، ص ح الأعشى ، ص ٣١٣ .

١٧) طقوش ، تاريخ المغول ، ص ٦١ .

لكسب ود العامة والخاصة من صناع القرار في تولي عرش الخانية ، لاسيما أن حكم البلاد كانت تتم برضى ومباركة كبار الأمراء والشخصيات النافذة وقادة الجيش

قائمة المصادر والمراجع :

أولا. المصادر:

- الجويني ، علاء الدين عطا الملك بن بهاء الدين محمد (٨١ هـ ٢٨٢ هـ).

* تاريخ جهانكشاي تاريخ فاتح العالم نقله عن الفارسية محمد التونجي ، دار الملاح للطباعة والنشر القاهرة ١٩٨٥).

- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢ هـ ٨٠٨ هـ).

* العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المسمى بتاريخ ابن خلدون ، دار القلم بيروت ١٩٨٤).

- الرمزي ، (١٣٠ هـ ٧١٧ هـ).

* تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ، منشورات دار الكتب العلمية بيروت - د ت).

- ابن العبري ، غريغوريوس المطلبي (٨٥ هـ ٢٨٦ هـ).

* تاريخ الزمان ، دار المشرق للطباعة والنشر بيروت - ١٩٨٦).

* تاريخ مختصر الدول ، دار الآفاق العربية للطباعة والنشر بيروت - ٢٠٠١).

- ابن عربشاه ، شهاب الدين احمد بن محمد (٥٤ هـ ٤٥٠ هـ).

* عجائب المقدور في أخبار تيمور القاهر - ٢٨٥) .

- العيني ، بدر الدين أبو محمد محمود بن احمد (٥٥ هـ ٤٥٠ هـ).

* عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٧ .

- الرمزي ، (١٣٠ هـ ٧١٧ هـ).

* تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ، منشورات دار الكتب العلمية بيروت ، - د ت).

- أبو الفداء ، الملك المؤيد إسماعيل بن محمد (٣٢ هـ ٧٣١ هـ).

* المختصر في أخبار البشر ، دار البحار للترجمة والتأليف (- د ت)

- القلقشندي ، احمد بن علي الفزاري (٧٦١ هـ ٨١٨ هـ).

* صبح الأعشى في صناعة الانشا ، تحقيق عبد القادر زكار ، وزارة الثقافة دمشق - ١٩٨١).
- الكاشغري ، محمد بن حسين محمد (٦٦ هـ ٠٧٣) .
* ديوان لغات الترك (المطبعة العامرة (- ٣٣٣)).
- الكيتي ، محمد بن شاكر (٦٤ هـ ٣٦٢)).
* عيون التواريخ ، تحقيق : فيصل السامر ونبيله عبد المنعم ، دار الرشيد بغداد ١٩٨٠)).
- ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر (٧٤ هـ ٣٧٢)).
* البداية والنهاية (١٤ ، مكتبة المعارف بيروت - ١٩٧٧)).
- مجهول كان الكتاب منسوب لابن الفوضي خط)).
* الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق : مصطفى جواد ، المكتبة العربية بغداد ١٩٣٢)).
- الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله ١٨ هـ ٣١٨)).
* جامع التواريخ ، خلفاء جنكيز خان) من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن ، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٣)).
- قزويني ، القاضي أحمد (٧٥ هـ ٥٦٧)) .
* تاريخ جيهان اراكتبخانه ، تهران ايشنكا ، سرجشمة يايان رسيبا .

ثانيا. المراجع:

- إقبال ، عباس
* تاريخ المغول من حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ، ترجمة : عبد الوهاب علوب ، منشورات المجمع الثقافي ابو ظبي ٢٠٠٠)).
- ارسلان ، سرفراز
* عاصمت رمال سوداء در آيساي ، انتشارات علمي وفرهنكى ، جاب سوم تهران ، ٣٤٥ هـ ش)).
- أميري ، محمود
* تاريخي مغول ، مؤسسة انتشارات أمير كبير تهران ٣٧٤ ـ)).
- آيتي ، إبراهيم
* اريخ فتوحات مغول ، مركز دراسات إسلامي تهران ٣٤١١ ـ ش)).
- بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفتش

* تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآ ب الكويت ١٩٨٠ .
- براون ، ادوارد جرنفيل
* تاريخ الأدب في إيران ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي ، مطبعة السعادة مصر ١٩٥٤).
- بروكلمان ، كارل
* تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ٢ بيروت ١٩٧٧).
- حطيط ، احمد
* حروب المغول ، دار الفكر الثاني بيروت ١٩٩٤ .
- حمدي ، حافظ احمد
* الدولة الخوارزمية دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد مصر ١٩٤٩).
* الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، دار الفكر العربي مصر ١٩٥٠).
- الحسيني ، احمد السيد
* العالم الإسلامي في العصر المغولي ، بحث منشور في مجلة عالم الكتب ، ٢ العدد الأول سنة ١٩٨٤ .
- خجندي ، احمد
* جنكيز خان دولت مغول ، مؤسسة أمير كبير تهران - ٣٤٢ ـ) .
- الرفيعي ، عبد الأمير
* العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، الفرات للنشر والتوزيع بيروت - ٢٠٠٢).
- الصدفي ، رزق الله منقريوس
* تاريخ دول الاسلام ، مطبعة الهلال بمصر ١٩٠٧ .
- الصياد ، فؤاد عبد المعطي
* المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٠).
- طقوش ، محمد سهيل
* تاريخ المغول العظام وخلفائهم ، دار النفائس للطباعة والنشر بيروت ٢٠٠٧).
- عبد الحكيم ، منصور
* جنكيز خان إمبراطور الشر وقاهر العالم ، دار الكتاب العربي دمشق - ٢٠٠٨).

- عامر ، فتحي حسين
* التتار والمغول ، مركز الراية للنشر والإعلام القاهر - ٢٠٠٧).
- العدوي ، إبراهيم احمد
* العرب والتتار ، دار القلم القاهر ١٩٦٣).
- العريني ، السيد باز
* المغول ، دار النهضة العربية للط اعة والنشر بيروت ١٩٦٧).
- العزاوي ، عباس
* تاريخ العراق بين احتلالين ، بغدا ١٩٣٥).
- عمران ، محمود سعيد
* المغول وأوروبا ، دار المعرفة الجامعي ١٩٩٧ .
- العود ، سليمان بن حمد
* كيف دخل التتر بلاد المسلمين الأدوار الخفية في سقوط الخلافة العباسية ، دار طيبة للطباعة والنشر الرياض - ٢٠٠١).
- الغامدي ، سعد
* سقوط الدولة العباسي ، مؤسسة الرسالة السعودي ١٩٨١).
- غروسي ، رينيه
* جنكيز خان قاهر العالم ، نقله إلى العربيا : خالد اسعد عيسى ، راجعه سهيل زكار ، دار حسان للطباعة والنشر دمشق ١٩٨٣).
- فهمي ، عبد السلام عبد العزيز
* تاريخ الدولة المغولية في إيران ، دار المعارف ١٩٨١ .
- كيتشانوف
* حياة تيموتشبجين جنكيز خان) الذي فكر في السيطرة على العالم ، ترجمة طلحة الطيب ، منشورات مركز جمعة الماجد الثقافي دبي ٢٠٠٥).
- لامب ، هارولد
* جنكيز خان وجحافل المغول ، ترجمة متري أمين مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٢ .
- هوخا ، هيلدا
* تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين ، ترجمة اشرف محمد كيلاني منشورات المجلس الأعلى للثقافة القاهر - ٢٠٠٢).

- واكيم ، سليم
* إمبراطورية على صهو ت الجيا ، دار الكتاب العربي القاهر - ٢٠٠١).
- اليوسف ، عبد الق در احمد
* علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، المكتبة العصرية بيروت ١٩٦٩).